بسم الله الرحمن الرحيم

العراق...أرض الفتنة

"الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين"

يخبر تعالى، عن تمام حكمته، وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال: « إنه مؤمن » وادعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة، يسلمون فيها من الفتن والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه. فإنه لو كان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل. ولكن سنته تعالى وعادته في الأولين، في هذه الأمة، أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل، ونحو ذلك من الفتن، التي ترجع كلها، إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة. فمن كان عند ورود الشبهات، يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل على صدق إيمانه وصحته. ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه، شكا وريبا، وعند اعتراض الشهوات، تصرفه إلى المعاصي أو تصدفه عن الواجبات، دل ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه. والناس في هذا المقام: درجات، لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر. فنسأل الله تعالى، أن يثبتنا بالقول الثابت، في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يثبت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس، بمنزلة الكير، يخرج خبثها، وطيبها.(تفسير السعدي)

هذا وقد جعل الله بعض الديار بمثابة أودية تسيل فيها التيارات الفكرية مختلطة بالهدى الالهي فتنفصل عنه على هيئة زبد لا ينفع و لا يضر ((واما ما ينفع الناس قيمكث في الارض))، ومن

تلك الديار أرض العراق التي كانت دوما كمحلات الصاغة المهرة تفصل الذهب و الفضة عما اختلط بها من التراب و الشوائب.

وتعال معي أخي الكريم في هذه الرحلة عير تاريخ البشر على هذه الارض وتامل في:

١- قصة نبيه نوح صلى الله عليه و سلم وكيف فتن الناس في ارض العراق ووقعوا في الشرك ثم ما لبث هذا الغثاء ان ذهب من على وجه الارض وبقيت الذرية المؤمنة بعد ان استوت السفينة على الجودي من أرض الموصل.

٢- قصة ابراهيم صلى الله عليه و سلم و كيف بعثه الله أول ما بعثه في أرض العراق فكان امة وحده أمرهم بالتوحيد و نهاهم عن عبادة الطواغيت، وبين لوازم كلمة التوحيد من و لاء و براء على أتم وجه، فكل من جاء بعده أمر باتباع هذه الملة المباركة((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)).

٣- يونس صلى الله عليه و سلم وكيف امتحن في أرض الموصل من العراق ((فالتقمه الحوت وهو مليم))، وكيف أن الله هدى قومه ليذهب الغثاء مرة اخرى و يثبت التوحيد في هذه الارض العجيبة.

٤- خاتم الانبياء و المرسلين محمد صلى الله عليه و سلم و تنبيهه المتكرر للامة بان العراق هو أرض الفتنة الذي ستدور على ارضه معارك اخر الزمان بين أولياء الشيطان و اولياء الرحمن.

وهذا قدر العراق أن يميز الله على ارضه بين معسكر الايمان والسنة و معسكر الكفر و النفاق و البدعة.

وأبتدأ تحرير العراق من طواغيت الفرس منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على يد المثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه، الذي سلم زمام الامور الى سيف الله المسلول خالد ايام أبي بكر مرورا بالامير الشهيد ابي عبيد الثقفي رضي الله عنه ليحملها خال رسول الله صلى الله عليه و سلم سعد بن ابي و قاص الذي دك البيت الأبيض بالمدائن، و استوطن الصحابة العراق و أقاموا فيه مرابطين ومجاهدين وما منعهم من السكنى فيه و الهجرة اليه أحاديث رسول الله صلى الله عليه و سلم في كونه ارض الفتنة، بل اقاموا ليجاهدوا الفتن و يقمعوها رضي الله عنهم أجمعين.

فكانت أول الفتن في عهد الخلافة الراشدة على أرضه لتميز بين أهل السنة و أهل البدعة، قظهرت الحرورية الخوارج و المرجئة و القدرية وتميز أهل الإسلام منذ تلك الأيام الى قيام الساعة الى معسكر أهل السنة و معسكرات أهل البدع. وكانت لهؤلاء صولات على أهل السنة لمزيد من تمحيص و اجتباء((والله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون))

يقول السيد: فأما انتصار الإيمان والحق في النهاية فأمر تكفل به وعد الله. وما يشك مؤمن في وعد الله. فإن أبطأ فلحكمة مقدرة، فيها الخير للإيمان وأهله. وليس أحد بأغير على الحق وأهله من الله. وحسب المؤمنين الذين تصيبهم الفتنة، ويقع عليهم البلاء، أن يكونوا هم المختارين من الله، ليكونوا أمناء على حق الله. وأن يشهد الله لهم بأن في دينهم صلابة فهو يختارهم للابتلاء:

جاء في الصحيح:" أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء "..

وأما الذين يفتنون المؤمنين، ويعملون السيئات، فما هم بمفلتين من عذاب الله ولا ناجين. مهما انتفخ باطلهم وانتفش، وبدا عليه الانتصار والفلاح. وعد الله كذلك وسنته في نهاية المطاف:

(أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا؟ ساء ما يحكمون !).

فلا يحسبن مفسد أنه مفلت ولا سابق، ومن يحسب هذا فقد ساء حكمه، وفسد تقديره، واختل تصوره. فإن الله الذي جعل الابتلاء سنة ليمتحن إيمان المؤمن ويميز بين الصادقين والكاذبين ; هو الذي جعل أخذ المسيئين سنة لا تتبدل ولا تتخلف ولا تحيد.(الظلال تفسير سورة العنكبوت)

و يواصل سيد قطب رحمه الله تعليقه:
فإذا كتب الله على المؤمنين الفتنة وكلفهم أن يجاهدوا أنفسهم لتثبت على احتمال المشاق، فإنما ذلك لإصلاحهم، وتكميلهم، وتحقيق الخير لهم في الدنيا والآخرة. والجهاد يصلح من نفس المجاهد وقلبه ; ويرفع من تصوراته وآفاقه ; ويستعلي به على الشح بالنفس والمال، ويستجيش أفضل ما في كيانه من مزايا واستعدادات. وذلك كله قبل أن يتجاوز به شخصه إلى الجماعة المؤمنة، وما يعود عليها من صلاح حالها، واستقرار الحق بينها، وغلبة الخير فيها على الشر، والصلاح فيها على الفساد.(المرجع السابق)

ثم ظهرت كلمة أهل السنة حتى يقول شيخ الإسلام في حق بغداد التي يزدريها اليوم كثير من ادعياء العلم:
أن بغداد إنما صار فيها من العلم والإيمان ما صار وترجحت على غيرها بعد موت مالك وأمثاله من علماء أهل الحجاز، وسكنها من أفشى السنة بها وأظهر حقائق الإسلام مثل أحمد بن حنبل وأبي عبيد وأمثالهما من فقهاء أهل الحديث ومن ذلك الزمان ظهرت بها السنة في الأصول والفروع وكثر ذلك فيها وانتشر منها إلى الأمصار وانتشر أيضًا من ذلك الوقت في المشرق والمغرب، فصار في المشرق مثل إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، وأصحابه وأصحاب عبد الله بن المبارك وصار إلى المغرب، من علم أهل المدينة ما نقل إليهم من علماء الحديث فصار في بغداد وخراسان والمغرب من العلم ما لا يكون مثله إذ ذاك بالحجاز والبصرة.

٥- ودخل المغو ل أرض العراق بدعوة من الرافضة لعنهم الله، فزلزل الناس و انقسموا ليميز الله الخبيث من الطيب مرة أخرى، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: وهكذا لما قدم هذا العدو كان من

المنافقين من قال: ما بقيت الدولة الإسلامية تقوم، فينبغى الدخول فى دولة التتار. وقال بعض الخاصة: ما بقيت أرض الشام تسكن، بل ننتقل عنها، إما إلى الحجاز واليمن، وإما إلى مصر. وقال بعضهم: بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء، كما قد استسلم لهم أهل العراق، والدخول تحت حكمهم.

فهذه المقالات الثلاث قد قيلت فى هذه النازلة. كما قيلت فى تلك. وهكذا قال طائفة من المنافقين، والذين فى قلوبهم مرض، لأهل دمشق خاصة والشام عامة: لا مقام لكم بهذه الأرض. (مجموع الفتاوى–مجلد٢٨)

ويقول رحمه الله: وفيهم صنف رابع شر من هؤلاء. وهم قوم ارتدوا عن شرائع الإسلام وبقوا مستمسكين بالانتساب إليه. فهؤلاء الكفار المرتدون، والداخلون فيه من غير التزام لشرائعه، والمرتدون عن شرائعه لا عن سمته، كلهم يجب قتالهم بإجماع المسلمين، حتى يلتزموا شرائع الإسلام،وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله،وحتى تكون كلمة الله ـ التي هي كتابه وما فيه من أمره ونهيه وخبره ـ هي العليا. هذا إذا كانوا قاطنين في أرضهم، فكيف إذا استولوا على أراضي الإسلام: من العراق، وخراسان، والجزيرة، والروم، فكيف إذا قصدوكم وصالوا عليكم بغيا وعدوانًا؟! {أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عليهمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ على مَن يَشَاء وَاللّهُ عليمٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ١٣- ١٥].

واعلموا ـ أصلحكم الله ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ثبت عنه من وجوه كثيرة أنه قال: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة)، وثبت أنهم بالشام.

فهذه الفتنة قد تفرق الناس فيها ثلاث فرق: الطائفة المنصورة، وهم المجاهدون لهؤلاء القوم المفسدين. والطائفة المخالفة،وهم هؤلاء / القوم، ومن تحيز إليهم من خبالة المنتسبين إلى

الإسلام. والطائفة المخذلة، وهم القاعدون عن جهادهم؛ وإن كانوا صحيحي الإسلام. فلينظر الرجل أيكون من الطائفة المنصورة أم من الخاذلة أم من المخالفة؟فما بقي قسم رابع.(المصدر السابق)

ويصف لنا روافض عصره فيقول:

والرافضة تحب التتار ودولتهم؛ لأنه يحصل لهم بها من العز ما لا يحصل بدولة المسلمين. والرافضة هم معاونون للمشركين واليهود والنصارى على قتال المسلمين، وهم كانوا من أعظم الأسباب فى دخول التتار قبل إسلامهم إلى أرض المشرق بخراسان والعراق والشام، وكانوا من أعظم الناس معاونة لهم على أخذهم لبلاد الإسلام وقتل المسلمين وسبى حريمهم. وقضية ابن العلقمى وأمثاله مع الخليفة، وقضيتهم فى حلب مع صاحب حلب مشهورة يعرفها عموم الناس. وكذلك فى الحروب التى بين المسلمين وبين النصارى بسواحل الشام، قد عرف أهل الخبرة أن الرافضة تكون مع النصارى على المسلمين، وأنهم عاونوهم على أخذ البلاد لما جاء التتار، وعز على الرافضة فتح عكة وغيرها من السواحل، وإذا غلب المسلمون النصارى والمشركين كان ذلك غصة عند الرافضة، وإذا غلب المشركون والنصارى المسلمين كان ذلك عيدًا ومسرة عند الرافضة.

ودخل فى الرافضة أهل الزندقة والإلحاد من [النصيرية] و[الإسماعيلية] وأمثالهم من الملاحدة [القرامطة] وغيرهم ممن كان بخراسان والعراق والشام وغير ذلك. والرافضة جهمية قدرية، وفيهم من الكذب والبدع والافتراء على الله ورسوله أعظم مما فى الخوارج المارقين الذين قاتلهم أمير المؤمنين على وسائر الصحابة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل فيهم من الردة عن شرائع الدين أعظم مما فى مانعى الزكاة الذين قاتلهم أبو بكر الصديق والصحابة.(المصدر السابق)

٦-نسير مع الزمن و بعد قرون من هذه الاحداث تعود الجأهلية من جديد و تسود عبادة القبور و الطواغيت فييسر الله رجلا من نجد يجدد دينه، فيسافر الى العراق ويطلب العلم في البصرة ليؤلف كتابه العظيم(كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) ثم يعود شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب الى أرض الجزيرة ناشرا دين التوحيد في ربوعها و تغزو جيوش الموحدين معاقل

المشركين في كربلاء و النجف، وتمتد دعوة التوحيد لتصل الى بغداد فيستجيب لها نفر من العلماء الكرام أمثال الشيخ محمود شكري الالوسي و تلاميذه ولعل من اهمهم الشيخ الامام عبد الكريم أبو الصاعقة رحمه الله الذي انشأ على يديه نخبة من دعاة التوحيد الذين تمكنوا من نشر هذه الدعوة المباركة خلال السنوات المظلمة ايام الملاحدة البعثية.

٧- وبعد هذه الرحلة الطويلة نصل الى عصرنا الحاضر لنشهد العراق مرة اخرى و قد هيأ له القدر اين يكون فيصلا و فرقانا و امتحانا و فتنة لأهل الإسلام على أرضه و في جميع اقطار الارض، فيصول العدو الكافر الاصلي و يهلك الحرث و النسل و يتعاون مع الرافضة الحليف التقليدي، ومع ذلك ينبري بعض المنافقين- كما حصل ايام شيخ الإسلام ابن تيمية تماما —بين مخذل و مثبط و داخل في حكم الكفار ورغم أن كثيرا من بلاد الإسلام قد أحتل من قبل العراق الا أنا ما سمعنا و لا رأينا مثل تصريحات و أعمال هؤلاء في حق العراق و المجاهدين، وما ذاك الا لان العراق أرض فتنة تفصل بين أهل الحق و أهل الباطل.

و يتميز أهل السنة مرة أخرى فلا يداهنون و لا يجاملون و لا يذعنون لسدنة السلاطين بل يحملون السلاح و تنظم اليهم طلائع الطائفة المنصورة من جميع ارجاء المعمورة يرجون الشهادة لاعلاء كلمة الله وهي (كتابه وما فيه من أمره ونهيه وخبره) وكما هيأ الله من قبل احمد و ابن تيمية هيأ الله اليوم رجالا حملوا الامانة ف((صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر)).

وسقط في أرض الفتنة أو خارجها كثير ممن كنا نظن به الخير((إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ))، فتمايزت الصفوف مرة أخرى ومحص الله الخبيث من الطيب.

وكتب

أبو مارية القرشي